الشارع المصري يصرخ:

أين أمنى وأمانى؟

د. عزت عبدالعظيم الطويل
أستاذ علم النفس
بكلية الآداب بجامعة بنها

نعمتان أنعم الله بهما على البشرية. نعمة الإطعام من الجوع والتأمين من الخوف حيث يقول المولى فى كتابه الكريم «الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (سورة قريش آية ٤) وقد قال أحد الحكماء حسب طريقة تفكير عصره «إن الإنسان إذا توفر لديه الأمن والماء والخبز فإنه يستطيع أن يصل الى السعادة» لأنه يكون بذلك قد وصل إلى حالة السكينة النفسية التامة وإلى نوع من الهدوء النفسى والرضا اليقينى

وكلمة الأمن من، آمن والأمن ضد الخوف ومنه قوله تعالى «أمنة منه» والأمنة أيضا الذين يثقون بكل الناس وفى هذه الأيام تنتشر فى كل شوارع قرانا وريفنا ومدننا كثرة كثيرة من الأشقياء العتاة وحثالة الناس البغاة وبلطجية عصر السوقة والرعاع المخربين والمفسدين من كل البقاع وأباطرة الرعب والهلع والتهديد وكمائن خطف الأشخاص بالقوة والوعيد، وعن نظام السير أو المرور فى الشارع ترى العجب العجاب بدون سؤالك عن الأسباب، فهذه سيارة نقل أصابها العطل فى نهر الشارع وتلك سيارة فارهة تسير عكس الاتجاه، وعلى البعد عربة حنطور تسير الهوينى الهوينى وهذه عربة كارو محملة بمواد بناء يجرها حصانان جامحان مشاكسان وعلى أطراف الشارع مجموعة من الدراجات البخارية (موتوسيكلات) تصم الآذان بأصواتها الناعقة وبها شرائط كاسيت ذات أغان مبتذلة زاعقة وفى هذا الكرنفال البغيض المجنون ترى التكاتك تسير على استحياء فى طريقها المحفوف بالمخاطر والكوارث وعلى إفريز الشارع وضع التجار والحرفيون بضائعهم للعرض والبيع بحيث لايجد المارة مكانا لقدم أثناء السير، فأين يسيرون وفى أى اتجاه يتجهون كما ترى مجموعة من الناس قد وضعوا «الشيطان الصغير» التليفونات المحمولة على آذانهم لاستقبال مكالمة أو رنة جعلتهم يسيرون بعرض الشارع كأنهم سكارى وما هم بسكارى.

وهكذا أضحى الشارع المصرى تسير فيه كل دواب الأرض كبيرها وصغيرها إنسها وجنها إن صح التعبير فضلا عن وجود الكتل الأسمنتية والخرسانية التى سدت بعض شوارع القاهرة ولا سيما وسط البلد لحماية المرافق الهامة والمنشآت الحيوية من موجات هجوم المتظاهرين والثوار والعابثين مما أدى إلى التشوه المكانى والتلوث السمعى والبصرى.

وفى هذا المجال يقدم الكاتب صورا من السلوك البشرى المكانى طبقا لما يراه علم النفس البيئى الذى يحدد المساحة المتاحة لاستخدامها بهدف التحكم فى عمليات التفاعل النفسى والتواصل الاجتماعى بين الأفراد فى البيئة بالإضافة إلى تحديد مقدار المسافات المطلوبة والمرغوبة من خلال أربعة مواقف خاصة بالسلوك المكانى وهى كالتالى :

١. المسافة الودية: وتتراوح ما بين صفر - ٤٥سم مثل الأم التى ترضع طفلها أو الملاكم الذى يحاول الإمساك بزميله فى الحلبة أثناء الملاكمة

٢. المسافة الشخصية: وتتراوح ما بين ٤٥سم - ١٢٠ سم مثل المناقشة بين صديقين أو بإلقاء التحية بين فردين.

٣. المسافة الاجتماعية : تتراوح ما بين ١٢٠سم - ٢١٠ سم مثل لقاء العاملين فى مجال العمل أو مجموعة من الطلاب فى مناقشة علمية مع أستاذهم

٤. المسافة العامة: وتتراوح هذه المسافة ما بين ٣٦٠سم - ٧٥٠سم وهى تتطلب الحديث بصوت مرتفع لحدوث التفاهم والتواصل الاجتماعى بين الأفراد مثل لقاء الخطيب مع جمهوره.

والواقع الأكيد أن شارعنا المصرى يتسم بسمة رئيسية ألا وهى الزحام الذى نعنى به حالة سيكولوجية بعدم الراحة وضغوط مرتبطة بالرغبة فى الحصول على المزيد من المساحة المكانية بما هو متاح ومباح من الأماكن والناس. هذا قد نشعر بالزحام رغم وجود مساحات خالية حولنا وهو مايذكرنا بحال بعض الناس الذين ينطبق عليهم قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ سورة التوبة - ١١٨) وهكذا أصبحت شوارع مدننا وقرانا كوكتيلا ممزوجا بالفوضى والزحام والإهمال والتلوث الأخلاقى والتحرش الجنسى نعم أصبحت شوارعنا تراجيديا ذات فصول ومشاهد من المظاهرات اليومية والمليونيات الأسبوعية وأكوام الزبالة الهرمية المؤذية لك الله يامصرنا الغالية فكلنا أسف وألم على ما أصابك من ضعف وتخلف ومن هول مانراه من مهازل باكية ونوازل هائلة نضحك كمدا وغيظا ولكنه ضحك كالبكاء، وهنا أدعو الله أن تكونى ممن قيل فيهم شعرا.

يارب هبت شعوبا من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم